مقدمة المؤلف

يعد الخليج العربي جبهة رئيسية لمواجهة الأخطار المتوقع أن تؤثر على مستقبل الشرق الأوسط، بل وعلى استقرار العالم كله. وينبع التهديد المركزي من جانب جمهورية إيران الإسلامية، التي تسعى إلى فرض هيمنتها الإقليمية، وتمد يدها إلى دول أخرى في المنطقة، بينما تواصل هي تطوير برنامجها النووي. ويحمل طموح النظام الإيراني في طياته أيضا احتمال تزايد التوتر بين المسلمين الشيعة والسنة. وفي نفس الوقت تتواصل التناقضات الداخلية، من تحت الأرض، في دول شبه الجزيرة العربية، بين من يتمتعون بالثراء الذي لا يمكن تصديقه وزخم التنمية الذي أتى به النفط والغاز، وبين أولئك الذين لم تتحسن أوضاعهم بنفس الدرجة. وإلى جانب المطالبين بالتمسك بالإسلام الأصولي وتراث الماضي القبلي، هناك جهات مهتمة بإعادة رسم المنطقة وفقا للتوجه الإسلامي الراديكالي الذي يحركها. ويعد تنظيم «القاعدة»، الذي يتزعمه أسامة بن لادن، ابن الأسرة الثرية السعودية، هو الأبرز بين تلك الجهات.

وتقع إمارة قطر، مثل بقية إمارات الخليج، في عين العاصفة، ولكنها تحاول أن تشق لنفسها طريقا خاصا لمواجهة لتحديات الماثلة أمامها. ورغم الضغوط الواقعة عليها، من جانب جار تها في الخليج العربي، أقامت قطر علاقات رسمية مع دولة

إسرائيل عام ١٩٩٦، وسمحت بفتح مكتب لتمثيل المصالح الإسرائيلية على أراضيها. وفي نفس الوقت، وطدت هذه الإمارة الصغيرة علاقاتها مع إيران التي تقاسمها الحدود البحرية وحقول الغاز الواقعة تحت الأرض. كما وطدت علاقاتها مع النظام السوري ومنظمات إسلامية متطرفة مثل حركة حماس وحزب الله. وقد عبرت هذه السياسة الاستثنائية عن نفسها عبر البرامج المثيرة للجدل التي تبثها قناة «الجزيرة» الفضائية، التي أنشئت بمبادرة من حكام إمارة قطر وبتمويل منهم، فلفتت الكثير من الانتباه إلى ما يحدث في قطر. وقد كتبت هذه السطور في باريس، التي أشغل فيها منصب وزير مفوض في سفارة إسرائيل. ولكنني شهدت خلال الشهور الأخيرة عمق التحول الذي طرأ على مكانة قطر في الشرق الأوسط، بل وفيما هو أبعد من ذلك. فقد رفرف علم قطر فوق مبنى السفارة الفاخرة بالميدان الذي يقع فيه قوس النصر في حي الشانزلزيه، بينما كان القصر الرئاسي في باريس يفتح أبوابه بمزيد من الوقار والاحترام، في بداية شهر يوليو ٢٠٠٨، أمام أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني، الذي كان يرتدي عباءته البيضاء الموشاة بالخيوط الذهبية. وكان الأمير وقرينته، الشيخة موزة آل مسند، التي تحولت إلى واحدة من أكثر النساء تأثيرا في العالم العربي، في بؤرة الأضواء الكاشفة في مدينة اعتادت استقبال الشخصيات رفيعة المستوى. ويرجع هذا الاستقبال الحار، في جزء منه، إلى مصالح اقتصادية وصفقات ضخمة بين قطر وفرنسا، ولكنه يرجع أيضا إلى الدبلوماسية القطرية. وقد ساهمت هذه الدبلوماسية في حل الأزمة السياسية الداخلية في لبنان، بعد التوقيع على «اتفاق الدوحة» في شهر مايو ٢٠٠٨، الذي أدى إلى انتخاب ميشيل سليمان رئيسا للبنان وعودة حزب الله إلى الحكومة. وقد شجع هذا التطور إسماعيل هنية، رئيس حكومة حماس في قطاع غزة، إلى دعوة قطر للتوسط أيضا من أجل إنهاء الأزمة السياسية بين التيارات الفلسطينية، كما فعلت في

الساحة اللبنانية. وعندما خرجت إسرائيل إلى عملية «رصاص مصبوب» ضد حماس في غزة، استضافت قطر، في يناير ٢٠٠٩، قمة عربية طارئة، طالبت بممارسة الضغط على إسرائيل. وأعلنت قطر في ذلك الإطار عن تجميد علاقاتها مع إسرائيل حتى تتحسن فرص السلام. وبفضل حزانتها الممتلئة وجراءة قادتها تحولت قطر إلى لاعب مهم في المنطقة. بما يتجاوز أبعادها الجغرافية وحجمها السكاني.

من الصعب إغفال التغيير الكبير الذي حدث منذ منتصف تسعينيات القرن العشرين، في تلك الأيام التي بدأت فيها العلاقات بين إسرائيل وقطر. في تلك الأيام كانت تلك الإمارة الصغيرة ما زلت مجرد لاعب ثانوي، مع صورة دولة لا تحظى بنظام حكم مستقر واقتصادها لم يحقق كامل قوته الكامنة في موارد النفط والغاز الموجودة تحت أرضها. أما اليوم، وفي المقابل، فقد تخطى الثراء القطري كل حدود الخيال، وتحولت العاصمة الدوحة، التي كانت قبل عقدين فقط مجرد شاطئ صغير للصيد، إلى مدينة عصرية تنتشر المباني الرخامية المهيبة في كل أرجائها وتجري في شوارعها سيارات فاخرة ولامعة.

هناك مصلحة واضحة لإسرائيل في أن تعتلي القوى المعتدلة قمة السلطة في دول الخليج العربي، وأن تجد طريقا يجمع بين التحديث والديمقراطية والعلاقة الوطيدة بالإسلام والتقاليد. أن الفسيفساء المركبة للواقع الذي شاهدته بعيني خلال فترة خدمتي كرئيس لأول مكتب لتمثيل المصالح الإسرائيلية في قطر، لها تداعيات ذات مغزى على قدرة دولة إسرائيل على العيش بسلام مع جيرانها وإقامة علاقات جوار طيبة مع العالم العربي المحيط بها. ومع ذلك فإن الفسيفساء بطبيعتها تتركب من عدد كبير جدا من الأجزاء الصغيرة التي تختلف كل منها عن الأخرى: أحداث سياسية عاصفة، مؤتمرات حاشدة، عناوين في وسائل الإعلام، اتفاقات اقتصادية وعلاقات

شخصية. وينبغي أن نضيف إلى ذلك التحدي الخاص بالحياة اليومية لأسرة إسرائيلية في دولة عربية بعيدة، بينما كان أطفالنا «نيطع» و «تومر» و «يوفال» ما زالوا صغارا. كل هذه الأمور جعلت الإقامة في قطر ذكرى محفورة في ذاكرتي بعمق، وحاولت أن أصفها هنا.

لم يكن الأمر ممكنا لولا الصداقة والمساعدة من جانب أولئك الذين عملوا على بلورة العلاقات بين إسرائيل وقطر. وكان على رأس هؤلاء عدد من الشخصيات الرئيسية في قصر الأمير، ووزارة الخارجية القطرية وكبرى الشركات القطرية. وأريد أن أتوجه بشكر خاص إلى أولئك الذين فتحوا لنا بيوتهم وخيامهم عملا بالتقاليد البدوية. وللأسف لن أتمكن من ذكر أسمائهم بسبب الواقع المحيط بنا والذي يتواصل فيه الضغط على كل من يقيم علاقات صداقة مع إسرائيل. ولكن تأييدهم واستعدادهم للخروج عن الخط أثبت أن هناك طريقا آخر يمكن معه أن نأمل أن يقودنا ذات يوم إلى السلام والازدهار في المنطقة.

وقد لعب مسؤولو وزارة الخارجية الإسرائيلية دورا رئيسيا في شق هذا الطريق الذي أتاح بناء العلاقات (الإسرائيلية) مع قطر. ومن بينهم مديرا العموم في وزارة الخارجية في تلك الفترة التي شهدت بناء الأسس الأولى لهذه العلاقات: «أوري سافير» و«ايتان بنتسور». وكان هناك دور مهم أيضا لإدارة الشرق الأوسط وعملية السلام في وزارة الخارجية، وكذلك لـ«يوآف بيران» الذي ترأس هذه الإدارة، وأريد أن اشكره على مساعدته لنا. وأتوجه بجزيل الشكر إلى نائب المدير العام «رافي باراك»، الذي كانت مساندته ضرورية لإقامة مكتب تمثيل المصالح الإسرائيلية في الدوحة، فضلا عن صداقته، التي ساعدت في التغلب على العوائق، التي واجهتنا أيضا في الأوقات الصعبة.

كما أتوجه بالشكر إلى «ب» الذي لا أستطيع ذكر اسمه كاملا، والذي يواصل العمل من أجل دفع العلاقات بين إسرائيل ودول الخليج العربي. وأشكر بالطبع أعضاء مكتب تمثيل المصالح الإسرائيلية في الدوحة، وعلى رأسهم «نسيم بلومو»، الذين عكفوا على أداء عملهم اليومي لبناء العلاقات مع قطر.

وأدين بشكر خاص إلى محرر الكتاب «رامي طال»، الذي فضلا عن أعمال التحرير والمراجعة اللغوية ساعدني في وضع الترتيب الصحيح والمتوازن الذي أتاح نسج قصة ارتباط العلاقات الدبلوماسية بين إسرائيل وقطر مع قصة حياتنا الشخصية كأول أسرة إسرائيلية ذهبت لتعيش طوال ٣ سنوات في الإمارة الصغيرة، في قلب الخليج العربي. وأشكر أيضا «دوف إيخنولاد»، مدير عام دار نشر «يديعوت سفاريم»، وفريق الإنتاج بقيادة «كوفي تأمير».

كما أشعر بالشكر العميق تجاه أسرتي، وأولا وقبل كل شيء تجاه والداي البروفيسور «ميشيل» و«كيلر ريفيل»، وزوجتي «إيسانت» التي شجعتني طوال الطريق كله، خلال فترة عملنا في قطر وخلال كتابة هذا الكتاب.